

## هل يمكن أن تحصل قراءة واحدة للنصّ الدينيّ؟

الدكتور أسعد السحمراني

الكلمات المفتاحية: النصّ الديني، الإسلام، المسيحية، الإنجيل، القرآن الكريم، الكنيسة، الدين.

### تمهيد

إن الأرض تتسع لمليارات البشر، وعند هذه المليارات تتنوع المعتقدات والشرائع وتتعدد، ولا تستقر علاقات الأفراد داخل الأمة الواحدة، أو علاقات الأمم والشعوب على أسس عادلة ما لم يحصل عند الجميع إقرار بالتنوع الثقافي، وبالتعدد في مواقع الإنتاج الحضاري.

وفي ميدان الدين فإن البشر منقسمون بين أتباع الرسالات السماوية وفيهم غالبية تتجاوز نصف سكان العالم بكثير من المسلمين والمسيحيين، وبين أتباع ديانات وضعية؛ أي ديانات صاغها فلاسفة ومتنورون بين قومهم كالبودية والكنفوشية، أو ديانات تشكلت نتيجة تراكمٍ لتراث شعب كالهندوسية والشتوية، وبين هذه وتلك اليهودية التي كانت في الأصل رسالة سماوية حملها موسى عليه السلام، لكن التدوين لكتابتها المقدس المعنون: العهد القديم أو العتيق استمر قرونًا، ولم تظهر نسخة مكتوبة منه إلا أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، وقد حدثت إضافات وزيادات في العناوين والأسفار، وجاء النص فيها مشحونًا بدفائن النفسية العنصرية القائمة على فلسفتي الإستعلاء (الشعب المختار) والقوة (حيث التوجيه إلى استخدام العنف والإجرام ضد كل الأغيار).

وجاء نص العهد القديم كذلك محملاً بصياغة للتاريخ أرادها كتاب العهد القديم لتوافق ما يريد به يهود. وقد تم شحن النص بأساطير ومزاعم، وكذلك جاء النص اليهودي يدعو أتباعه إلى إلغاء الآخر وعدم الإقرار بالتنوع أو التعدد، وقد أسس ذلك لمناخ أنبت الصهيونية، وبفعل ولادة هذه الحركة العنصرية بات من الصعب إدخال الصهاينة الذين اختلط عندهم الديني بالسياسي فكان مشروعهم الإلغائي من صهيونية غير يهودية عند من غزوا أميركا الشمالية وأبادوا الهنود الحمر واسترقوا الأفارقة، إلى الصهيونية اليهودية التي اغتصبت فلسطين، وتحاول تهجير وقتل وإبادة سكانها والجوار العربي لفلسطين.

انطلاقًا من هذه المعطيات سيتخصص بحثنا بإمكانية القراءة الدينية الواحدة على الصعيد الإسلامي -

المسيحي.

## منهج قراءة النص في المسيحية والإسلام وركائزه

إن النص الإسلامي الشرعي قرآنًا وسنة نبوية كان في الظهور الزمني بعد المسيحية، وقد جاء يحمل المبادئ والأسس للمجتمع التعددي، ويقرّ بالآخر خاصة الآخر المسيحي الكتابي.

قال الله تعالى: {وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون} <sup>1</sup>.

وقال تعالى: {وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلبؤكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعًا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون} <sup>2</sup>.

إن الآية الأولى تطالب المسيحيين أن يحكموا بما عندهم في الإنجيل، ولم يطلب منهم أن يطبقوا ما جاء في القرآن الكريم لأن كل قوم آمنوا برسالة عليهم أن يطبقوا ما في هذه الرسالة.

ثم تأتي الآية الثانية لتؤكد تعدد الشرائع والمناهج رغم وحدة المصدر الإلهي، وأن مشيئة الله تعالى أن تكون الأمم متعددة والشرائع متعددة والمؤمن عليه أن يلتزم أمر الله تعالى، وبذلك يكون التعدد والتنوع حقيقة أرادها الله تعالى.

إن قراءة النص الديني هنا تقود إلى قبول الآخر المسيحي، وهذا مدخل للعيش الأخوي الكريم.

وإذا أردنا الانتقال إلى أساس هذا اللقاء الإسلامي-المسيحي فإن البيان الإلهي يأتينا في قوله تعالى: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} <sup>3</sup>.

إن الجامع المشترك يتمحور في ثلاثة أمور هي:

1. الإيمان بالله تعالى.

<sup>1</sup> سورة المائدة، الآية 47.

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية 48.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 62.

2. الإيمان باليوم الآخر، يوم الجزاء والحساب.

3. العمل الصالح في الحياة الدنيا.

وإذا كان هذا التحديد قد ورد في النص الديني الإسلامي، فنصوص العهد الجديد المسيحية قد حوت الكثير بشأنه حيث الدعوة للإيمان بالله وإن كانت كلمة الله إسم الجلالة مصطلحاً إسلامياً وباللغة العربية، ففي الإنجيل وردت كلمة إله فالدلالة واحدة وإن اختلف المعنى اللغوي، وكذلك أتت النصوص المسيحية تتحدث عن يوم الدينونة والجزاء في الآخرة، وأما الدعوة للعمل الصالح فقد ورد بشأنها الكثير.

في العهد الجديد جاء بلسان المسيح عليه السلام: "إن الرب إلهنا هو الربُّ الأحد، فاحبب الرب إلهك بكل قلبك، وكلِّ نفسك، وكلِّ ذهنك، وكلِّ قوتك.

... فقال له الكاتب: أحسنت يا معلم، لقد أصبت إذ قلت: إنه الأحد وليس من دونه آخر، وأنَّ يحبه الإنسان بكل قلبه، وكل عقله، وكل قوته"<sup>4</sup>.

والناس في يوم الدينونة أو يوم الجزاء الأخروي ينقسمون إلى قسمين، وكما جاء في العهد الجديد: "يذهب هؤلاء إلى العذاب الأبدي، والأبرار إلى الحياة الأبدية"<sup>5</sup>.

وهذا اليوم لا يعلمه إلا الله تعالى أو بحسب مصطلح العهد الجديد الآب، فقد جاء: "فأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فما من أحد يعلمهما، لا ملائكة السموات ولا الابن إلا الآب وحده"<sup>6</sup>.

أما العمل الصالح فقد جاء في رسائل بولس: "لأننا من صنَّع الله خُلِقنا في المسيح يسوع للأعمال الصالحة التي أعدها الله بسابق إعداده ليمارسها"<sup>7</sup>.

وتدعو النصوص المسيحية، من أجل الصلاح وطرده الشياطين ووساوسها، الناس إلى التزام الكلام الذي حمّله المسيح عليه السلام ونطق به، ومن يعصي له هو الخسران. ورد في إنجيل متى: "مثل من يسمع كلامي هذا

---

<sup>4</sup> إنجيل مرقس، الإصحاح 12، الفقرة 29 وما بعدها.

<sup>5</sup> إنجيل متى، الإصحاح 25، الفقرة 46.

<sup>6</sup> إنجيل متى، الإصحاح 24، الفقرة 36.

<sup>7</sup> رسالة بولس إلى أهل أفثس، الإصحاح 2، الفقرة 10.

فيعمل به كمثل رجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وسالت الأودية وعصفت الرياح، فثارت على ذلك البيت فلم يسقط، لأن أساسه على الصخر.

ومثل من سمع كلامي هذا فلم يعمل به كمثل رجل جاهل بنى بيته على الرمل. فنزل المطر وسالت الأودية وعصفت الرياح، فضربت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه شديدًا<sup>8</sup>.

إن القراءة الدينية الواحدة يمكننا بناؤها على هذه الأسس الإيمانية المشتركة بين المسيحية والإسلام وإن تنوع فقه أسس الإيمان هذا لا يلغي أو يعطل إمكانية اللقاء على عقيدة التوحيد، وفي النص القرآني: "قل هو الله أحد"<sup>9</sup>.

والخطاب الإلهي في القرآن الكريم جاء ليؤكد بأن منطلق اللقاء الإسلامي المسيحي هو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة وتجنب الشرك، قال الله تعالى: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون}<sup>10</sup>.

إن الشرائع السماوية تنطلق إذًا من كلمة سواء هي كلمة عدلٍ وهي جامع لهم جميعًا فتتبع الشرائع يلزمه الإيمان الواحد بالله الواحد.

وما ورد عن يوم الحساب أو الساعة في النص المسيحي وأن الآب وحده يعلمه جاء كذلك في النص القرآني ما يؤكد الأمر نفسه في قوله تعالى: "إن الله عنده علم الساعة"<sup>11</sup>.

وهنا يكون بين الإسلام والمسيحية أساس إيماني آخر يسهم في التأسيس للقراءة الواحدة للنص.

أما بشأن طاعة الله تعالى وما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله، والإحتكام إلى الأوامر والنواهي فإن النصوص كثيرة منها قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلًا}<sup>12</sup>.

---

<sup>8</sup> إنجيل متى، الإصحاح 7، الفقرة 24 وما بعدها.

<sup>9</sup> سورة الإخلاص، الآية 1.

<sup>10</sup> سورة آل عمران، الآية 64.

<sup>11</sup> سورة لقمان، الآية 34.

إلا أن القراءة الواحدة لا تلغي الخصوصية وهذا أمر من الأصوب والأسلم تركه الله تعالى يفصل فيه بين الناس يوم القيامة لأن اللقاء والتعاون لنشر عقيدة التوحيد وللعودة إلى ما أمر به الله تعالى ورسله صلوات الله عليهم، يحقق غاية مهمة هي تحقيق سعادة الإنسان وكرامته، وتأمين حقوقه، وردع الظلم والطغيان والبغي.

إن اللقاء العقدي في رحاب النص يشكل الأساس والمنطلق كي يكون اللقاء في رحاب القيم الناضجة لمسيرة حياة الإنسان ثقافة وحضارة واجتماعاً.

إن القراءة الواحدة لا تكون ولا هي واحدة في فقه أسس العقيدة، ولكنها واحدة إلى حد كبير في القواعد والتشريعات التي تنظم العلاقات الإنسانية وقد تكون نصوص الوصايا من النصوص التي تساعد على تحقيق هذه الغاية المنشودة.

والمقترح أن تكون الانطلاقة مما جاء في النص القرآني من سورة الأنعام: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُو مَا حَرَّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} <sup>13</sup>.

هذا النص الذي يتضمن قواعد تشريعية لكثير من شؤون الحياة يمكنه أن يكون الجامع المشترك لأن نصوصاً في العهد الجديد جاءت تحمل القواعد نفسها، منها: "فقال له يسوع: لم تدعوني صالحاً؟ لا صالح إلا الله وحده، أنت تعرف الوصايا:

لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تظلم، أكرم أباك وأمك.

فقال له: يا معلم، هذا كله حفظته منذ صباي. فحدق إليه يسوع فأحبه فقال له: واحدة تنقصك: اذهب فبع ما تملك وأعطه للفقراء" <sup>14</sup>.

<sup>12</sup> سورة النساء، الآية 59.

<sup>13</sup> سورة الأنعام، الآيتان 151 و152.

<sup>14</sup> إنجيل مرقس، الإصحاح 10، فقرة 18 وما بعدها.

إن اللقاء الإسلامي-المسيحي ضرورة، والأرض العربية مهد رسالات السماء هي المكان الأرحب لهذا اللقاء  
كي تنهض المؤسسات الدينية والثقافية على أسس إيمانية لتقاوم ما يعمل لنشره دعاة العولمة/الأمركة من فساد  
ورذائل باسم الحرية والحداثة.

ولبنان في قلب الأمة العربية تعيش فيه التجربة في التنوع وقبول الآخر والحوار ضمن غائية اللقاء.

لقد كان مهمًا هذا الموقف للبطريرك أغناطيوس هزيم الذي قال فيه: "إن التنوع في حد ذاته مغرٍ، ومن يدري  
أن يكون هو السبب في أزمت الشرق الأوسط أو في منطقتنا نحن. إنه كان في أساس الإنتعاشات الروحية  
والفكرية والحضارية التي نلمسها حتى هذه الساعة والتي لا نلمسها في مناطق نشأت في وسط موحد. لذلك أنا  
لا أشجب التنوع وإنما أحبّذه. لكن على إختوتنا جميعًا أن ينظروا إلى التنوع في البلد كما ننظر اليه في العائلة  
الواحدة. كلّ له طابعه من أعضائها، وكلّ له شخصيته ومزاجه ووجوده المتميز وكلنا يعرف هذا. إلا أن ذلك  
يغلف بالحبّة والإرادة في أن يبقى الجميع في عائلة واحدة. هذه الصورة أود أن تنعكس على جميع اللبنانيين فيبقى  
التنوع ما بقينا. لكن فلننشئ المحبة لكي نغلف ذلك التنوع، وهو خلّاق كما قلت<sup>15</sup>.

إن الكنائس المعاصرة خرجت من فكرة حصر الخلاص بالمسيحيين لكي تطرح أن اللقاء في رحاب التوحيد  
ممكّن مع المسلمين؛ كانت الإنطلاقة في قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني الصادرة في العام 1965 حيث جاء في  
نصوصها: "وتنظر الكنيسة أيضًا بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحيّ القيّوم، الرحمن القدير الذي  
خلق السماء والأرض، وكلّم الناس. إنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله وإن خفيت مقاصده،  
كما سلّم الله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه. وإنهم، وعلى كونهم لا يعترفون بيسوع إلهًا،  
يكرمونه نبيًا، ويكرمون أمه العذراء مريم، مبتهلين إليها أحيانًا بإيمان. ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يجازي الله  
فيه جميع الناس بعدما يبعثون أحياء. من أجل ذلك يقدرون الحياة الأبدية، ويعبدون الله بالصلاة والصدقة  
والصوم، خصوصًا.

<sup>15</sup> البطريرك أغناطيوس هزيم، حوارات (1979-1988)، (دمشق: منشورات بطريركية الروم الأرثوذكس)، الصفحة 176.

ولئن قد وقع، في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم فيما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية<sup>16</sup>.

وقد أتى بعد ذلك الإرشاد الرسولي الذي أعلنه البابا من لبنان في شهر أيار/مايو من العام 1997 ليؤكد على الوحدة والعيش الكريم، وبعدها كان في شهر حزيران/يونيو من العام 2003 المجمع البطريركي الماروني وبيانه الختامي الذي حسم الجدل حول مسائل كثيرة أهمها الإقرار بالمجتمع المتنوع وبالعيش الأخوي ورفض كل دعوات التفرقة أو العبث بوحدة المجتمع.

وفي هذا المدلول نفسه يتحدث البطريرك هزيم فيقول: "كلنا خلقنا الله من أصل واحد، الله وحده هو الخالق، وكلنا من صنعه. دعونا نحب بعضنا بعضاً، الشعب يحب بعضه بعضاً ويحمل الوطن، والله خلقنا جميعاً وعلينا أن نحب ما خلق الله، وأن نعتمد على المحبة إن شاء الله"<sup>17</sup>.

إن هذا الخطاب المسيحي الكاثوليكي (الغربي) والأرثوذكسي (الشرقي) يؤسس لعلاقات ضرورية مع المسلمين لمواجهة استحقاقات كثيرة أبرزها:

1- حماية كرامة الإنسان وحقوقه بدءاً من صيانة الأسرة موحدة مستقرة مروراً بنشر العدل ورفع الظلم إلى نشر وسيادة قيم الخير والحق.

2- مواجهة الصهيونية بشقيها اليهودي، وغير اليهودي الذي يتجسد حالياً في القيادة الأمريكية السياسية والعسكرية والدينية والاقتصادية التي تعادي المسيحية وتحاول فرض مفهوم متهود عليها وتعادي الإسلام متهمة إياه بالإرهاب.

3- نشر القيم الأخلاقية في مواجهة المخاطر التي فرضتها أنظمة اجتماعية أدت إلى ازدياد المخدرات والانحرافات.

---

<sup>16</sup> المجمع الفاتيكاني الثاني، أشرف على الترجمة وقام بقسم منها الأب حنا فاخوري، جونيه- لبنان، المكتبة البولسية، ط1، سنة 1992، الصفحة 629.

<sup>17</sup> البطريرك أغناطيوس هزيم، حوارات (1989-2000)، مصدر سابق، الصفحة 255.

4- تجاوز محطات تاريخية سلبية حصلت فيها نزاعات تحت شعارات دينية بين أبناء وأتباع الرسالة الواحدة أو بين أتباع رسالة وأخرى. وهذا يستلزم أن يحترم كل فريق ما عليه الفريق الآخر وليس على أحد أن يعتقد ما يعتقد سواه.

5- من نقاط اللقاء الأساسية مقاومة الإحتلال والإغتصاب الصهيوني لفلسطين وفي قلبها القدس، فالقدس لها مكانتها وموقعها في المسيحية كما في الإسلام، ويوم استلم مفاتيحها الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه من البطريرك صفرينوس وأعطى العهد لأهلها، كان في العهدة العمرية أن لا يسكن أحد من يهود فيها. ومحاولة تهويدها اليوم يشكل تحديًا وتعديًا على الإسلام والمسيحية معًا، وهذا عدوان يدفع المؤمنين بالمسيحية وبالإسلام كي يعملوا لردعه ولتحرير القدس وفلسطين من رجس الصهيونية.

6- إن العولمة التي تنطلق على أساس رأسمالية متوحشة، ومشروع تدميري يستهدف الأسرة والكرامة والقيم لا يمكن أن تواجه بغير لقاء وتعاون إسلامي - مسيحي عالمي، ومن هذا القبيل تنبع أهمية القراءة الواحدة للنص ليس في إطار الفقه التنظيري فحسب، وإنما لأجل فقه تقريرى أو ما يسمى فقه الواقع.